

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(277) وفي السنة السادسة من عمره فقد والدته أيضاً فاحتضنه جده عبد المطلب، وبعد سنتين من كفالته، توفّي جدّه، فكفله من بعده عمه أبو طالب وكان شهماً كريماً غير أنّه كان من الفقر بحيث لا يملك كفاف أهله. وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) من بني عمه وصبيه قومه، كأحدهم على ما به من يتم، فقد فيه الـابوين معاً، وفقر لم يسلم منه الكافل والمكفول، ولم يقم على تربيته مهذب، ولم يعن بتثقيفه مودب بين أتراب من نبت الجاهلية، وعشراء من خلفاء الوثنية، وأولياء من عبدة الـالـوهام، وأقرباء من حفدة الـالـصنام، غير أنّه مع ذلك كان ينمو ويتكامل بدناً وعقلاً وفصيلاً وأدباً، حتى عرف بين أهل مكة وهو في ريعان شبابه بالـالـامين، أدب إلهي لم تجر العادة بأن تزين به نفوس الـالـيتام من الفقراء خصوصاً مع فقر القوّم، فاكتهل (صلى الله عليه وآله وسلم) كاملاً والقوم ناقصون، ربيعاً والقوم منحطون، موحداً وهم وثنيون، سلماً وهم شاغبون، صحيح الاعتقاد وهم واهمون، مطبوعاً على الخير وهم به جاهلون، وعن سبيله عادلون. من السنن المعروفة أنّ يتيماً فقيراً أُميّاً مثله تنطبع نفسه بما تراه من أوّل نشأته إلى زمن كهولته، ويتأثر عقله بما يسمعه ممّن يخالطه، ولا سيما إن كان من ذوي قرابته، وأهل عصيته، ولا كتاب يرشده ولا أستاذ ينبيهه، ولا عضد إذا عزم يوفّيه، فلو جرى الـالـمر فيه على مجاري السنن لنشأ على عقائدهم، وأخذ بمذاهبهم، إلى أن يبلغ مبلغ الرجال، ويكون للفكر والنظر مجال، فيرجع إلى مخالفتهم، إذا قام له الدليل على خلاف ضلالتهم كما فعل القليل ممّن كانوا على عهده، ولكن الـالـمر لم يجز على سنته، بل بغضت إليه الوثنية من مبدأ عمره، فعاجلته طهارة العقيدة، كما بادره حسن الخليقة، وما جاء في الكتاب من قوله: (ووجدك ضالاً فهدى) لا يفهم منه أنّه كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد،